المقاربات التكوينية لمفهوم الأمن من المقترب البنائي إلى نظريات ما بعد الحداثة.

د. بالة عمار

أستاذ محاضر قسم –ب- بجامعة خنشلة

Amarbala2009@yahoo.fr

الملخص:

أدى عجز نظريات الاتجاه التفسيري (الواقعية والليبرالية وعلى وجه التحديد) في الإلمام باتجاه نظري متكامل لمختلف ظواهر العلاقات الدولية، وعلى رأسها مفهوم الأمن، إلى بروز نظريات ومقتربات جديدة أطلق عليها وصف "التكوينية- التأملية" نظرا لمحاولتها الإحاطة بكل عناصر ومتغيرات النظرية بهدف تقديم منظور متكامل يؤسس لبناء نظرية عامة في العلاقات الدولية، وعليه فإن النظريات التكوينية كمجموعة من التصورات البديلة للسياسة العالمية تتبنى مواقف ابستمولوجية وخيارات منهجية وانطولوجية، غير تلك التي ميزت النظريات التفسيرية.

Abstract :

The inability of explanatory theories (Realism and Liberalism in particular) to developing an integrated theoretical approach to the various phenomenon of international relations (Security concept in particular), led to the emergence of new theories and approaches called “Formative-Reflective” given to their attempt to surround all theoretical elements and variables in order to provide an integrated perspective that sets the basis for the construction of a general theory in international relations; therefore, the formative theories - as a set of alternative perceptions in world politics- adopt different epistemological positions and other ontological-methodological choices than those which characterized the explanatory theories.

www.manaraa.com

مقدمة:

نتيجة للقصور الذي طبع اتجاهات المنظور التفسيري/ الوضعي في الإلمام باتجاه نظري متكامل لظواهر العلاقات الدولية، والأمن بشكل خاص، ظهرت مقاربات حديثة متزامنة مع حالة الركود التنظيري الذي شهده حقل العلاقات الدولية، تولي أهمية بالغة لفكرة البناء الاجتماعي (Social Construction)، والذي شكل تحديا للمدرستين الواقعية والليبرالية، وذلك بهدف تقديم منظور متكامل يؤسس لبناء نظرة عامة مغايرة لمقاربات المنظور التفسيري. وقد أطلق على هذا المدخل المقارباتي وصف "المقاربات ما بعد الوضعية/ النقدية" كمجموعة تصورات بديلة للسياسات العالمية، تتبنى مواقف ابستيمولوجية وخيارات منهجية ونظرية وانطولوجية، غير تلك التي يقدمها التفسيريون (الواقعيون والليبراليون بشكل خاص).

وقد تجلى هذا التوجه الجديد بداية من سعي المقترب البنائي إلى زعزعة التصورات الواقعية والليبرالية حول العديد من المفاهيم وعلى رأسها مفهوم الأمن الذي أخذ بعدا آخر من المنظور البنائي انطلاقا من أساس مرجعي يقوم عليه المقترب البنائي هو: اعتبار كل ما يحدث ليس كمعطى مسبق وإنما مبنى اجتماعيا.

كما حاولت النظرية النقدية الاجتماعية بوصفها من النظريات الراديكالية المتشبعة بالفكر المثالي والماركسي -خاصة- تقديم مفهوم جديد للأمن يرتكز على فكرة الانعكاسية، (Reflexive)حيث أن روادها يربطون الوقائع بالقيم، والأعمال بالخطابات والتفسيرات، ويركزون في نظرتهم للواقع على القيم والخطابات (Values and Speeches).

أما نظرية "ما بعد الحداثة" وانطلاقا من افتراضاتها التفكيكية لأطر المقاربات التقليدية، فإنها تقدم مفهوما للأمن ينطلق من قيمة الخطاب الذي يعتبرونه المنظار الوحيد لفهم سلوكيات الدول.

على هذا الأساس يمكن طرح الإشكالية التالية: **إلى أي مدى ساهمت نظريات الاتجاه التكويني في تقديم إطار نظري بديل وشامل لمفهوم الأمن بعيدا عن افتراضات الاتجاه التفسيري الذي ينظر إلى الأمن كمعطى حتمي غير قابل في –تفسيره- لأي نقاش؟**

للإجابة على الإشكالية نتناول الدراسة في إطار المحاور التالية:

1- البناء الاجتماعي للأمن من منظور المقترب البنائي.
2- مفهوم الأمن وفقا لفكرة "الانعكاسية" حسب النظرية النقدية الاجتماعية.
3- مفهوم الأمن من منطلق "قيمة الخطاب" حسب نظرية ما بعد الحداثة.

www.manaraa.com

أولا: "البناء الاجتماعي" للأمن من منظور المقترب البنائي:

أدى بروز المقترب البنائي مع نهاية الحرب الباردة إلى زعزعة التصورات الواقعية والليبرالية حول العديد من المفاهيم وعلى رأسها مفهوم الأمن الذي أخذ بعدا آخر من المنظور البنائي انطلاقا من أساس مرجعي يقوم عليه المقترب البنائي هو: اعتبار كل ما يحدث ليس كمعطى مسبق وإنما مبنى اجتماعيا.

كما أن ظهورها تزامن مع نوع من الركود التنظيري في العلاقات الدولية وهو مبرر اتخذته البنائية لوصف النظريات السابقة . وعلى رأسها الواقعية والليبرالية . بالفاشلة نظرا لاهتمامها بالجوانب المادية وإهمالها للجوانب المعيارية. بتفصيل أكثر يعزو البنائيون عجز الواقعية إلى سيطرة المنهج المادي والفردية والقوة، وعجز الليبرالية إلى نفس الجوانب ولكن بالتركيز على المصلحة الاقتصادية.

غالبا ما ينظر إلى البنائية على أنها جسر رابط (Bridge Gap) بين الاتجاهات الوضعية- التفسيرية والنظريات ما بعد الوضعية - التكوينية على اعتبار أنها محاولة توفيقية أكثر منها نظرة نقدية أو تحد لمنطلقات الاتجاهات الواقعية والليبرالية[1].

تعود جذور البنائية إلى كتاب **نيكولاس أونوف** (Nicholas Onuf) "عالم من صنعنا" (World of our Making)الذي استعمل فيه لأول مرة مصطلح البنائية (Constructivism)، ومنتقدا فيه أفكار وفرضيات واقعية **والتز** الجديدة، أما الانطلاقة الفعلية فكانت بفضل **الكسندر وانت** (Alexender Wendt)"الملقب بأبي البنائية" عام 1992 في إطار النظرية النقدية الاجتماعية كرد فعل على كل من الواقعية والليبرالية ومنطلق **وانت** أنه لا يطرح نظرية (Theory) وإنما مقاربة (Approache) تقوم على الافتراضات التالية:

- الدول هي الوحدات الأساسية للتحليل.
- البنى الأساسية للنظام القائم على الدول مبنية بشكل "تذاتاني" (Intersubjective).
- هويات ومصالح الدول تتشكل في إطار نسق مترابط بفعل البنى الاجتماعية داخل النظام[2].

انطلاقا من هذه الافتراضات الثلاثة تحاول البنائية تبني نظرة أو تصور أكثر اجتماعية وأكثر إرادية، رافضة بذلك الأسس المادية والحتمية التي تبنى عليها التصورات الواقعية والليبرالية، وهنا تنفرد البنائية مقارنة بالواقعية والليبرالية بأنها تجمع بين **معرفية/ وضعية**، بمعنى أن الواقع الاجتماعي موجود ويمكن للباحث دراسته (ابستمولوجيا) وانطولوجيا **ما بعد وضعية**، بمعنى أن هذا الواقع لا هو موضوعي . معطى مسبقا . ولا هو ذاتي تابع

[1] عبد الناصر جندلي، التنظير في العلاقات الدولية بين الاتجاهات التفسيرية والنظريات التكوينية، الجزائر، دار الخلدونية، الطبعة الاولى، 2007، ص 322.

[2] المرجع نفسه، ص 323.

www.manaraa.com

لخطابات الشرعنة، ولكن تتداخل فيه "التذاتيات" وهي ما تصنعه المعتقدات المشتركة للفاعلين وهو التركيب الذي تسميه البنائية بالتذاتانية.

للتبسيط أكثر، يمكن أن نقارن الافتراضات الأساسية للبنائية بمختلف الافتراضات في المنظورات المشكلة للاتجاه التفسيري، "فالبرادايم البنائي" مثلا يختلف عن "البرادايم الواقعي" من حيث عدم تحديده للواقع بناء على توزيع القوى المادية، وإنما على ضرورة الأخذ بعين الاعتبار العلاقات الاجتماعية، وفي نفس الوقت فإن البنائية تتقاسم مع الواقعية بعض التصورات مثل: الطبيعة الفوضوية للنظام الدولي، الاعتراف بالقدرات الدفاعية للدول، انعدام الثقة في نوايا الآخرين وعقلانية الفاعلين[1].

تركز البنائية على عنصر الهوية (Identity) - الذي أهملته جميع النظريات التفسيرية- إذ تعتبر الهوية مسألة جوهرية في عالم ما بعد الحرب الباردة، وتؤكد على كيفية تعامل الهويات مع الطريقة التي تستوعبها الوحدات السياسية (الدول) وتستجيب لمطالبها ومؤسساتها.وعلى هذا الأساس، فالهوية تولد وتصقل المصالح، كما تعتبر هذه المقاربة أن العوامل الثقافية تؤثر بشكل مباشر وغير مباشر على الهوية، وأن المصالح القومية تنبع من بناء خالص لهوية الذات مقابل هوية الآخر، وهو ما يفسر بروز قضايا الأقليات بعدما تحول الصراع من صراع بين الدول أثناء الحرب الباردة إلى صراع داخل الدول بعد نهايتها، وكذا قضايا الإرهاب والتنظيمات الإرهابية بعد تحول الصراع من إيديولوجي إلى حضاري، فضلا عن تحريك الخلافات الطائفية والانتماءات العرقية والثقافية للأفراد صناع قرار هذه الوحدات السياسية وهي كلها مؤثرات تدل على وجود عدة فاعلين وليس فاعل واحد في النظام الدولي لما بعد الحرب الباردة[2].

ويمكن تفسير اهتمام البنائية بمتغير الهوية على أنه نوع من التفكيك لنموذج كرة البليار (Blliard Ball Model) الواقعي، حيث يرفض البنائيون هذا التصور لأنه- حسبهم- فشل في إبراز أفكار ومعتقدات الفاعلين الذين أقحموا أنفسهم في النزاعات الدولية، والمهم بالنسبة لهم هو فهم التفاعلات الاجتماعية الداخلية للدول (الكرات) لاستيعاب المخرجات السياسية لها حتى لا يتم حصرها في مخرجات البيئة الدولية الفوضوية للنظام الدولي[3].

إذن الفوضوية (Anarchy) تعد من الإسهامات الأساسية للبنائية، حيث يرى **وانت** في مقاله الصادر عام 1992 والموسوم بـ: "الفوضى هي ما تصنعه الدول: البناء الاجتماعي لسياسة القوة"، (Anarchy is what states make of it : The social construction power politics)، بأن الفوضى في السياسة الدولية تبقى مجرد فكرة لكنها تكتسي القوة والتأثير عندما تعمل الدول على الاعتقاد بوجودها[4].

---

[1] عمار حجار، السياسة المتوسطية الجديدة للاتحاد الأوروبي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلاقات الدولية، الجزائر، جامعة باتنة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، قسم العلوم السياسية، جوان 2002، ص 41.

[2] عبد الناصر جندلي، مرجع سابق، ص 223.

[3] المرجع نفسه، ص 224.

[4] JuanitaElias and Peter Sutch, International relations- The Basics-, USA, New York ,Routldge, 2007, P 186

www.manaraa.com

ويقول **وانت** أنه بما أن الهويات متعددة المصادر وليست ذاتية، وبما أنها أساس المصلحة القومية، فإنه ورغم إشارة هذه الأخيرة إلى مستلزمات الأمن وإعادة الإنتاج، فإنه لا يمكن أن تحدد من خلال مقاربة أنانية . في إشارة إلى الواقعية والليبرالية . حيث أن الفوضى الدولية التي تعيش وتتحرك فيها الدول والتي تصقل هوياتها وبالتالي مصالحها ليست إلا ما تصنعه الدول بها، وليست حتما مرادفا لحالة الحرب كما يقول الواقعيون . وعليه يفرق **وانت** بين ثلاثة أنواع/ تصورات للفوضى ترتبط بمسألة توظيف الأمن، حيث يقول بأن الدول توظف الفوضوية لخدمة مصالحها، فعندما تنظر الدول إلى بعضها البعض نظرة **عدواة** فإن البنية الدولية تكون مشكلة لفوضى **هوبزية**. ولما تنظر إلى بعضها البعض نظرة **تنافس** تكون مشكلة الفوضى **لوكية**، أما إذا نظرت الدول إلى بعضها ك **أصدقاء** نكون بصدد فوضى **كانطية**[1]. ويرى **وانت** أن الثقافة **الهوبزية** المحددة للمصلحة القومية بشكل حصري وإقصائي وفق علامات القوة لم تعد موجودة في عالم ما بعد الباردة باستثناء بعض الحالات الشاذة والظرفية، وعليه فالعالم تطور نحو الثقافة **اللوكية** بل وحتى **الكانطية** كما هو الحال في بعض أنحاء العالم مثل: الجماعة الاورو- اطلسية، أين تحدد الثقافة **الكانطية** سلوك دول الجماعة، حيث أنه لما تتحرك دولة من هذه المجموعة فإنها لا تشبع مصلحتها الوطنية فقط، بل وحتى مصالح الدول الصديقة والحليفة[2].

تتمحور نظرة البنائيين لمصادر الأمن حول إثارة التساؤل التالي: أيهما يسبق الأخر الواقع أم الأفكار؟ وفي محاولة للإجابة يرون بأن العلاقات الدولية لا تقوم على تأثير علاقات القوة، ولكن على التصورات والمفاهيم التي تعطي للقوة "معنى"، وهو ما يمثل رفضا بنائيا لمتغير القوة في تفسير وتحليل الواقع الدولي، فبالنسبة لـ "**وانت** فإن الأمن هو ما تريد الدول العمل به"[3].

أما بالنسبة لباحثين بنائيين آخرين على غرار **جون روجيه** (John Rogie)، **فريدريش كراتوشويل** (Fredirich Kratochwill) و **إيمانويل ادلر** (Emanuel Adler) ، وفي محاولة لوضع مجموعة من القوانين (Corpus) النظرية تتعلق بمفهوم الأمن يركزون على المسلمات الثلاثة التالية[4]:

- أسس النظام الدولي مبنية اجتماعيا، وأن الفوضى أو البحث عن القوة هي عبارة عن بنى (Structures) وليست حقائق موضوعية، ولا تكون ذات "قيمة" إلا إذا آمنت الدول بها، وعلى هذا الأساس سيصبح الأمن" تنبئيا " بصورة تلقائية لأن الفوضى ليست معطى موضوعي وإنما فكرة ذاتية عملت الدول منذ نظام **وستفاليا** على دمجها ضمن سلوكها.
- الشروط المادية ليست المحددات الوحيدة للأمن وإنما الأفكار والمعايير تلعب دورا هاما في تشكيل و تغيير هوية النظام الدولي مع مرور الزمن وبصورة مختلفة.

[1] Amelie Blom et Frederic Charillon, Theories et Concepts des Relations Inernatinales, France, Paris, Hachette, 2001, p 13.
[2] Ibidm p 13.
[3] Charles P.David et Jean Jaques Roche, Theories de la Securité, France, Paris, Edition Montchrestien, 2002, P 104.
[4] Ibid, P 103.

www.manaraa.com

- يمكن للأمن أن يتحول ويتحسن (Amelioration) بشرط أن تتغير طريقة التفكير وبصورة حيادية، فإن المقترب البنائي يبعث على التفاؤل لأنه بدل الاعتقاد بديمومة التنافس والتنازع بين القوى الكبرى . كما يعتقد أغلب الواقعيين . يمكن لهذا التنافس أن يزول بتبني أفكار سلمية، كما حدث للاتحاد السوفياتي عندما لعبت أفكار **غورباتشوف** دورا هاما في إنهاء الحرب الباردة وبصورة سلمية دون اللجوء إلى خيار القوة السوفياتية كبديل عسكري.

لقد أعطت البنائية حيزا بحثيا تساؤليا للعديد من الباحثين حول مفاهيم عديدة، فبغض النظر عن إسهامات كل من **وانت وأنوف** باعتبارهما أعمدة المقترب البنائي، فإن ايمانويل **ايدلر** يحاول البحث عن كيفية بناء جماعة أمنية، أما **بيتر كاتزنشتاين** (Peter Katzestein) فيسعى إلى دراسة الكيفية التي يؤثر بها التاريخ على بناء السياسات الأمنية للدول، وبصورة خاصة عن الطريقة التي يؤثر بها التاريخ على بناء الهوية[1] . وهي محاولات تؤكد الأهمية التي يحظى بها مفهوم الأمن لدى هذا المقترب الذي حاول إعطاءه دفعة جديدة بعيدا عن التصورات الحتمية والاقصائية للمنظورات التفسيرية دون أن يلغيها.

ثانيا: مفهوم الأمن وفقا لفكرة "الانعكاسية" حسب النظرية النقدية الاجتماعية:

برزت النظرية النقدية الاجتماعية كنتاج للعمل الفكري الكبير الذي طورته "مدرسة فرانكفورت" (Frankfurt School) بألمانيا منذ فترة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية، وترمي إلى إعادة هيكلة وتقييم التنظير في العلاقات الدولية بتبنيها لأطروحات انطولوجية، ابستيمولوجية ومنهجية تختلف- بدرجة كبيرة- عن الأنساق الانطولوجية، الابستيمولوجية والمنهجية التي تبنتها الاتجاهات النظرية التفسيرية.

تعد النظرية النقدية- الاجتماعية من المدارس الذائعة الصيت ولكنها لا تحظى إلا بتأثير نسبي نظرا لتصنيفها ضمن المقاربات الراديكالية، كما تستقي أسسها من رافدين هما: الفكر المثالي والفكر الماركسي لدرجة أن البعض يصفها بالماركسية الجديدة نظرا لأن بناءها النظري- المفهوماتي جاء في شكل انتقادات اجتماعية وثقافية متشبعة بالفكر الماركسي[2].

يعتبر **يورغن هابرماس** (Jurgen Habermass)أهم مفكر نقدي إلى جانب كل من **تيودور ادورنو** (Theodor Adorno)، **ماكس هوركايمر** (Max Horkheimer)، و**هاربرت ماركيز** (Herbert Marcuse)من ألمانيا، وكل من اندرولينكلاتير (A.Linklater) و**روبرت كوكس** (Robert Cox) من بريطانيا[3].

يرتكز التصور النقدي للسياسة العالمية على رفض القواعد والأسس التي بنيت عليها النظريات التقليدية (التفسيرية) حيث يدرك النقديون بأن المعتقدات التي يحملها بعض المنظرين- الواقعيين مثلا- أثبتت ادعاءاتهم حول

[1] Idem, P 103.

[2] عبد الناصر جندلي، مرجع سابق، ص 313.

[3] المرجع نفسه، ص 314.

www.manaraa.com

الحقيقة، والتي سوف تصبح جزءا من الأنماط الإيديولوجية العالمية لشرعنه بعض الترتيبات العالمية، ودعم بعض الأجندات المزعومة للسيطرة، تكون ملائمة لتقديم الإيديولوجية متنكرة في شكل نظريات علمية، وعليه فإن مهمة النظرية النقدية هي إماطة هذا اللثام من خلال بناء مفاهيم ومعان أكثر عمقا[1]. وهو ما يبرر سعي النظرية النقدية . الاجتماعية إلى تشكيل بناء مفهوماتي . نظري صلب يقوم على أسس انطولوجية وابستمولوجية مغايرة لتلك المعتمدة وضعيا[2].

فعلى المستوى الابستمولوجي تنطلق النقدية من افتراضات منهجية "لا وضعية" (Non-Posivist)للعلوم الاجتماعية، وهذا ما تؤكده أعمال **هيبرماس** المنشورة لأول مرة سنة 1968 ثم سنة 1987 والمرتبطة بـ "المعرفة والمصالح الإنسانية" (Interersts Knowledge and Human) حيث يميز **هابرماس** بين ثلاثة أشكال للنظرية تقوم بدورها على ثلاثة "مصالح معرفية" هي:

1. **المصلحة المرتبطة بالعلوم التحليلية . التجريبية**: وهي تلك العلوم التي وصفها الرعيل الأول من هذه المدرسة بالعلوم الوضعية (Posivist Sciences) ، وعلى الرغم من استهانة المنظرين الأوائل بهذا الصنف من المعرفة إلا أن **هابرماس** يؤكد على مكانتها في حياة البشر، كما يرى أن كل مصلحة تنمو من خلال ما يسميه بالوسط (Media) وهو المجال الذي توضع فيه المصلحة موضع التنفيذ[3].
2. **المصلحة العملية**: وتؤدي بدورها إلى ظهور العلوم التأويلية أو ما يعرف بـ الهيرمينيوطيقا (Hermeunitics) والتي ينصب اهتمامها على التفاعل البشري والسبل التي يُتفاعل بها في إطار التنظيمات الاجتماعية[4]. ويذهب **هابرماس** إلى أن المصلحة العملية تفضي إلى نوع ثالث من المصلحة وهي:
3. **مصلحة الانعتاق والتحرر**: والتي تؤدي إلى ظهور العلوم النقدية التي تنطلق من التسليم بقدرتنا على التفكير وعلى الوعي وعيا ذاتيا بما نعمل على أساس الوقائع المعروفة لدينا عن الحالة وانطلاقا من إدراكنا لقواعد التفاعل المقبولة اجتماعيا[5]،وهي الفكرة التي قامت عليها أسس نظرية **هابرماس** النقدية[6].

تواصل النظرية النقدية مهاجمتها الحادة لافتراضات الواقعية حول بنائها لنظرية "موضوعية علميا" و"حيادية معياريا"، حيث يرى **روبرت كوكس**-أحد أبرز المنظرين النقديين- أن عقلانية الواقعيين ما هي إلا معيارية مستترة تستجيب لمصالح طبقة اجتماعية محددة، وهو ما يتوافق مع المنطلق النقدي لـ **كوكس** المرتبط بعبارته الشهيرة "النظرية هي دوما من أجل شخص معين ولهدف معين" (Theory is always for some one and for

[1] Paul R. Viotti and Mark V.Kauppi, Internationl Relations Theory, UK, London, Pearson, 5th Edition, 2012, P 9.
[2] Ibid, P 430.
[3] ايان كريب، النظرية الاجتماعية من بارسونز الى هابرماس، ترجمة: محمد حسين غلوم، الكويت، عالم المعرفة، أفريل 1999، ص 307.
[4] Dan L.Maclsaac, " The critical Theory of Jurgen Habermas", http://physicsed.buffalostate.edu/danowner/habcrithy.html.
[5] ايان كريب، مرجع سابق، ص 308.
[6] يرى هابرماس بأن النظرية هي نتاج للفعل البشري وتخدم غايات ذلك الفعل، وهي بشكل أساسي أداة لتحقيق حرية أكبر للبشر، كما أنها تتطور بأشكال متباينة بعيدا عن الأعمال المتأخرة لـ هوركايمر وادورنو وأصحاب اتجاه ما بعد الوضعية الذين ترتبط المعرفة عندهم بالهيمنة والاستعباد.

www.manaraa.com

some purpose) نازعا بذلك كل موضوعية وعلمية منحت للنظريات التقليدية في العلاقات الدولية، مقترحا بديلا لذلك يقوم على أساس المعيارية الذاتية[1] (Subjective Normative) .

منهجيا: يرفض النقديون هيمنة منهج علمي واحد ويدعون إلى التعدد المنهجي بهدف إبراز أهمية الاستراتيجيات التفسيرية[2].

وانطلاقا من كونها مزيج من الماركسية والغرامشية[3] تتبنى النظرية النقدية ابستيمولوجيا "مادية تاريخية" وفق منهجية جدلية، ممثلة بذلك قطيعة واضحة مع الابستيمولوجيا الوضعية التجريبية القائم على منهج علمي وحيد وهو المنهج الاستقرائي .الاستنباطي الذي يميز الواقعية البنيوية[4].

انطولوجيا: تتحدى النقدية المفاهيم الواقعية حول الفعل (Action) والطبيعة الانسانية (Human nature) وأهمية الهوية في بناء المصالح والأفعال[5]. وكذا مفهوم الفوضى الأبدية للواقع الدولي المفترض قيامه على تنافس دول ذات سيادة لحماية مصالحها الوطنية واستقرار الترتيب العالمي القائم، فحسب **وليامز** (Mc. Williams) و **كروز** (K Krause) فإن الفوضى والمصلحة الوطنية ليستا قوانين طبيعية حتمية وإنما مجرد سلسلة من الافتراضات والأطروحات حول الطبيعة السياسية للفاعلين وعلاقتهم بالسيادة[6].

إذن وانطلاقا من أن الواقعيين والنيوليبيراليين يقبلون "إشكالية الفوضى" كمعطى، ويسعون للتقليل من الآثار الجانبية السيئة للفوضى، فإن المقتربات الجديدة ومنها النقدية تسعى إلى إيجاد السبل التي عبرها يمكن للفوضى أن تخدم مصالح معينة[7]. ما يقصده النقديون هنا . وفي تحليلهم لمفهوم الأمن . ارتكاز هذا الأخير على فكرة الانعكاسية، بمعنى أنهم يسعون إلى ربط الوقائع بالقيم، والأعمال بالخطابات والتفسيرات، ويركزون في نظرتهم للواقع على القيم والخطابات (Values and Speeches).

---

[1] Dan L.Maclsaac, Op.Cit.

[2] Richard Price and Christian Reus-Smit, " Dangerous Liaisons ? Critical International Theory and Constructivist", http :// ejt.sagebub.com/egi/content/short/4/3/259.

[3] هناك من يطلق على النظرية النقدية الاجتماعية اسم الغرامشية الجديدة نسبة الى المفكر الايطالي انطونيو غرامشي الذي ساهم في شرح فكرة الهيمنة والتي تعني عنده السيطرة على الغالبية وقبول الوضع القائم الذي تهيمن عليه الطبقة المسيطرة، والهيمنة لا تقوم إلا من خلال الايديولوجيا التي تمثل منظومة فكرية تحدد البنى والممارسات الاجتماعية في المجتمعات والتي تجعل من هيمنة القوى الرأسمالية وأنماط العلاقات التي تفرضها أمرا عاديا وطبيعيا لا يثير التساؤل.

[4] عمار حجار، مرجع سابق، ص 35.

[5] R. Price and C. Reus – Smith, "Critical International Theory and Constractivism", European Journal of International Relations, UK, London, SAGE Publications, Volume 4, Number 3, September, p 262

[6] عمار حجار، مرجع سابق، ص 35.

[7] Chris Brown, Undestanding Innternational Relations, USA, New York, PAIGRAVE, Second Edition, 2001, P 57.

www.manaraa.com

يتقاسم النقديون ثلاثة أفكار تحدد المسار التنظيري للنقدية الاجتماعية حول مفهوم الأمن هي[1]:

1. يرفضون الخطابات العقلانية حول الأمن.
2. يشككون في قدرة الدولة على ضمان أمن حقيقي أي أمن الأفراد.
3. يحددون ويعرفون موضوع الأمن بالوجود والرفاه وحالة العيش في ظروف جيدة، والانعتاق الإنساني (Humen Emancipation) وهو مفهوم غير دولاتي.

وباعتبارها ترفض العديد من الافتراضات التقليدية حول مفهوم الأمن فإن النقدية تقترح تغييرات معيارية مهمة لمفهوم الأمن على النحو التالي:

أولا: بوصفها راديكالية، فإن النقدية أعلنت القطيعة مع الدولة محولة اهتمامها إلى الأفراد الذين يعتبرون الهدف الرئيسي للأمن، على اعتبار أن الدولة عاجزة عن توفير أمن الأفراد وبالتالي فهي تشكل مصدر تهديد لهذا الأخير[2]. وهو ما يفسر التحول إلى مفهوم أنساني للأمن.

ثانيا: تركز النظرية النقدية على دور الخطاب في شرعنة سلوكات معينة وتبرير سياسات بعينها، وترى أنه لإعادة تشكيل المقاربات المهيمنة حول الأمن لابد أولا من تغيير الخطابات[3].

ثالثا: يجب على المقاربات الأمنية أن تأخذ بعين الاعتبار وجهة نظر النساء غير المسموعة بشكل كاف، لأن مقاربة نسائية (Feminist Approch) للأمن يمكن أن تغزو الجامعات العالمية على وجه العموم والأمريكية على وجه الخصوص.

رابعا: إن الرهانات الجديدة للأمن خاصة الاقتصادية والاجتماعية والبيئية تضعف الدول والأفراد، وتحتم تحمل قدر كبير من المسؤولية الشاملة (Global Responsability) ، كما تدعو إلى عولمة "استجابات الأمن" عن طريق الفعل "المؤسساتي" المدروس على المستوى الدولي وكذا المجتمع العالمي[4].

إذن تحاول النظرية النقدية . الاجتماعية إعطاء مفهوم جديد للأمن بعيدا عن الافتراضات الاقصائية والحتمية للمدرستين الواقعية والليبرالية باتجاهاتهما المختلفة، وذلك . بالإضافة إلى ما سبق . من خلال نخبة من باحثيها البريطانيين أمثال: **كين بوث** (Ken Booth)الذي يشيد بانعتاق البشر عن أضرار الأمن الدولاتي ، و **جيم جورج** (Jim George) الذي يحلل الأمن باعتباره كفاح ومقاومة للخطابات المهيمنة والخطيرة، و **جيمس دردرين** (James Der Derien) الذي يعتبر الصور (Images) أكثر تأثيرا من الواقع في التأثير على الأمن[5] وأخيرا **ماري كالدور**

[1] Amelie Blom et Frederic Charillon, Op. Cit, p 14.
[2] Ibid, p14
[3] Charles Ph. David et J.J. Roche, Op.Cit, P 106 – 107.
[4] Ibid, P 107.
[5] يعطي ديردين مثالا على ذلك بأن روايات Tom Clancy تحظى بتأثير أكثر من نظريات والتز.

www.manaraa.com

(Mary Kaldor) الذي يدعو إلى "ممانعة مجتمعية عبر قومية" (Contestation communautariste transnationale) للسياسات المسؤولة عن الفصل بين الحروب والدول التي تسببها[1].

ثالثا: مفهوم الأمن من منطلق "قيمة الخطاب" حسب نظرية ما بعد الحداثة:

على الرغم من بلوغ "ما بعد الحداثة"[2] مرتبة "النظرية" ابتداء من منتصف ثمانينيات القرن الماضي، إلا أن مساهمتها في تطوير نظرة أو تصور جديد للسياسة العالمية لا تزال في مرحلتها الأولى، على اعتبار أن اهتماماتها الأولية لا تزال مرتكزة على تكثيف النقد الابستيمولوجي والمنهجي لتحطيم أسس الفكر الإنساني المهيمن والذي تعتبره نتاج "المشروع التنويري الغربي" القائم على الفلسفة الوضعية والمناهج التجريبية العقلانية.

يعتبر كل من **فوكولت** (Foucault) **دريدا** (Derrida)، **بودريار** (Baudrillar)، **ليوتار** (Lyotard) و**لاكان** (Lacan) من أبرز المساهمين في بناء نظرية ما بعد الحداثة والتي ترجع أصولها الفكرية إلى مجموعة من الفلاسفة الفرنسيين الذين رفضوا هيمنة الفلسفة الوجودية على فرنسا أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات، إلا أن ما ساهم في دخول النظرية عالم العلاقات الدولية هو ترجمة كتاب **جون فرونسوا ليوتار** "الوضع ما بعد الحداثي" إلى الانجليزية عام 1984، وهي تمثل إحدى النظريات الهامة في الحوار الثالث (Third Debate)، كما يطلق عليها **رونالد بلايكر** صفة التحول الجميل [3] (The Aechetic Turn).

تعد "مابعد الحداثة" النظرية المابعد وضعية بامتياز، لأنها تمثل مقتربا يقوم على طرح "تساؤلات" حول ادعاءات المعرفة وعلاقتها بالقوة، حيث يرى **فوكولت** بأن كل من المعرفة والقوة ينشئان بعضهما البعض وبشكل متبادل[4]. ويقول بأن: "المعرفة والقوة "ببساطة" وجهان لعملة واحدة، فمن الذي يقرر ما المعرفة، ومن الذي يعرف ما احتياجات أن تكون مُعرّفة". وعلى هذا الأساس فإن أنصار ما بعد الحداثة يريدون التطرق إلى: أي علاقات قوة تدعمها "الحقائق" وممارسات المعرفة؟، وهي النظرة التي استخدمها منظروا ما بعد الحداثة لفحص "حقائق" العلاقات الدولية لمعرفة كيف أن مفاهيم وادعاءات المعرفة تعتمد في الواقع وإلى حد كبير على علاقات قوة محددة.

ولتأكيد ذلك يقدم كل من **سينتيا ويبر** (Cynthia Weber) و **جينس بارتلسون** (Jens Bartelson) مثالان حديثان حول مفهوم السيادة، حيث يظهر وفي كلتا الحالتين بأنه متغير تاريخيا رغم محاولة باحثي الاتجاهات السائدة إضفاء معنى ثابت له بشكل مصطنع.[5]

---

[1] Idem, P 107.

[2] تعرف أيضا بما بعد البنيوية.

[3] عبد الناصر جندلي، مرجع سابق، ص 319.

[4] Campbell Jones," Theory After the Post Modernism Condition",
http:// org.sagebub.com/cgi/content/abstract/ 10/3/503.

[5] جون بيليس وستيف سميث، عولمة السياسة العالمية، ترجمة: مركز الخليج للأبحاث، الإمارات العربية المتحدة، دبي، مركز الخليج للأبحاث، 2004، ص 388.

www.manaraa.com

لقد أدت العديد من المؤشرات إلى الدفع نحو الانتقال من الحداثة إلى ما بعد الحداثة، وفي صورة نقدية لعل أبرزها:

1. اندلاع الثورات العرقية، وشيوع الحركات الانفصالية المرتبط بأزمة الدولة القومية.
2. تطور المجتمع المدني في مواجهة هيمنة الدولة على المجال العام (Public Realm).
3. صعود عنصر الهوية والعامل الثقافي في السياسة العالمية[1]، حيث يرتكز هذا النقد في المقترب "ما بعد الحداثي" على مهاجمة ما يسمى بالنظريات "ما وراء السردية" [2] (Metanarratives Theory) القائمة على مجموعة خاصة من "ادعاءات المعرفة" المتعلقة بالعالم، وعليه يرى منظروا ما بعد الحداثة بأنه لا توجد معرفة موضوعية للعالم[3]. حيث يعرف **ليوتارد** ما بعد الحداثة بوصفها "عدم التصديق إزاء ما وراء النصوص السردية"، بمعنى أنها تنكر إمكانية وجود أسس لإثبات حقيقة الأقوال الموجودة خارج حديث ما[4].

أما على مستوى التنظير في العلاقات الدولية يتبنى ما بعد الحداثيون نظرة مغايرة لتلك التي يدافع عنها الواقعيون الجدد والليبراليون الجدد، حيث يرى **والكر** (R.B.J. Walker) أن نظريات العلاقات الدولية تصبح أكثر أهمية عندما ينظر إليها كمظاهر تتطلب تفسيرا للسياسة العالمية المعاصرة مقارنة بالنظر إليها كتفسيرات للسياسة الدولية المعاصرة وباعتمادها على عقيدة التناص[5] (Intertextuality)

تتحدى ما بعد الحداثة حقل العلاقات الدولية في مستوى جذوره الأكثر عمقا، وذلك بطرح تساؤل "ماذا نعني بالعلاقات الدولية؟"، مع تأكيدها على أهمية طرح مثل هذه التساؤلات رغم انتقادات الاتجاهات النظريات الأخرى في إطار الاتجاه التفسيري[6].

ومن خلال عقيدة "التناص" تدعو ما بعد الحداثة إلى ضرورة تضمين الخطاب في العلاقات الدولية "أصواتا كثيرة ومتعددة"، حيث أن توظيف هذه العقيدة يعني إعطاء دور أساسي للغة في فهم وإدراك العالم الاجتماعي أو الواقع[7]. وعلى هذا الأساس يعتقد ما بعد الحداثيون أن اللغة لا تعكس الواقع، بل الواقع يبنى ويصاغ من خلال استعمال اللغة في مسار لا نهائي من التفسير[8].

---

[1] قاسم حجاج، العالمية والعولمة: نحو عالمية تعددية وعولمة انسانية، الجزائر، جمعية التراث، 2003، ص 143.

[2] يحدد Stephen Commings انطلاقا من افتراضات Lyotard النقدية، النظريات ما وراء النصوص السردية في "الماركسية، الهيجلية، نموذج العلم العقلاني، المسيحية Christianism والتأكيدات الفرويدية لهيمنة العقل الباطن".

[3] Chris Brown, Op.Cit, P 119.

[4] جون بيليس وستيف سميث، مرجع سابق، ص 392.

[5] عبد الناصر جندلي، مرجع سابق، ص 331.

[6] Keith Webb, " Preliminary Questions about Post-Modernism ", http://www.ukc.xl.uk/politics/kentpapers.html.

[7] Ibid.

[8] عمار حجار، مرجع سابق، ص 38.

www.manaraa.com

ويعتبر الفيلسوف الفرنسي "ما بعد الحداثي" **جاك دريدا** الأكثر تطويرا وإثراء لعقيدة "التناص" والمناهج التفكيكية والمقاربات اللغوية اللسانية في العلوم الاجتماعية، حيث يقول: "يستحيل معرفة الواقع خارج نطاق الخطاب المستخدم واستحالة التعبير عنه"[1].وبذلك يبقى **دريدا** المرجع الأساسي لكل محاولات التنظير البنائية المعتمدة على مقاربات نصوصية أو لغوية.

استنادا للبناء النظري لما بعد الحداثة، يمكن القول بأننا أمام منظور أمني مختلف أو على الأقل متناسب مع الأبعاد الابستيمولوجية والانطولوجية لهذه النظرية المفككة للأطر والمقاربات التقليدية. فنظرة ما بعد الحداثيون للأمن تنطلق من قيمة الخطاب الذي يعتبرونه المنظار الوحيد لفهم سلوكيات الدول ويستندون في ذلك على نقد أو تهديم الطرح الأمني الواقعي الذي يعكس دلالات سلبية بخصوص اتجاه ومضمون الأمن[2].

وانطلاقات من ذلك يقدم منظروا ما بعد الحداثة بديلا للخطاب الأمني الواقعي الذي يصطبغ بطابع سياسي يمثل مشكلة مركزية لانعدام الأمن الدولي، حيث يصفه **ريتشارد آشلي** (R.Ashley) بالإيديولوجية التي تحمل مشروعا شموليا يشجع على بروز الصراعات الأمنية باعتبار الواقعية تركز على متغير القوة في فهم سياسات الدول، هذا البديل هو تبني خطاب أمني جماعي يرتكز على متغيرات التعاون والسلم والعدالة والفهم المشترك من جهة ويعمل على نزع بذور التفكير الواقعي المسيطرة على عقول الساسة والأكاديميين من جهة أخرى[3].

ويقترح مفكروا ما بعد الحداثة العديد من الأدوات لتطوير خطاب الأمن الجماعي لعل أبرزها اللجوء إلى الجماعات المعرفية (Epstemic) لنشر القيم الأمنية المشتركة والأفكار التعاونية والسلمية بين الدول لأن هذه الجماعات تعبر عن ادراكات موضوعية للسياسة الدولية بعيدا عن الاستقراءات الوضعية للواقعيين.

خاتمة:

على الرغم من التجديد الذي أضفته مقاربات المنظور التكويني على العديد من المفاهيم السائدة في العلاقات الدولية، ومن منظور تفكيكي . على رأسها مفهوم الأمن . إلا أنها تبقى عرضة للعديد من الانتقادات على اعتبار أنها مفرطة في الجانب النظري ولا تهتم بدرجة كافية بالعالم "الحقيقي"، لكن أنصارها يرون أنه لا يوجد في العالم الاجتماعي ما يسمى "بالعالم الحقيقي" بمعنى وجود حقيقة غير مفسرة في قبلنا، وهو ما يتعارض مع القبول المرجعي الذي تحظى به مقاربات المنظور التفسيري (الواقعية خاصة) لدى الدارسين لانطلاقها في تفسير الواقع الدولي (الأمن كأبرز ظواهره) من منظور مادي / وضعي.

[1] عبد الوهاب المسيري وفتحي التريكي، الحداثة وما بعد الحداثة، سوريا، دمشق، دار الفكر، الطبعة الاولى، 2003، ص 89.

[2] خالد معمري، **التنظير في الدراسات الامنية لفترة ما بعد الحرب الباردة**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية، الجزائر، باتنة، قسم العلوم السياسية، 2007 – 2008، ص 108.

[3] المرجع نفسه، ص 109.

www.manaraa.com

قائمة المراجع:

1/ ايان كريب، النظرية الاجتماعية من بارسونز الى هابرماس، ترجمة: محمد حسين غلوم، الكويت، عالم المعرفة، أفريل 1999.

2/ جون بيليس وستيف سميث، عولمة السياسة العالمية، ترجمة: مركز الخليج للأبحاث، الامارات العربية المتحدة، دبي، مركز الخليج للأبحاث، 2004.

3/ خالد معمري، **التنظير في الدراسات الامنية لفترة ما بعد الحرب الباردة**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية، الجزائر، باتنة، قسم العلوم السياسية، 2007 – 2008

4/ قاسم حجاج، العالمية والعولمة: نحو عالمية تعددية وعولمة انسانية، الجزائر، جمعية التراث، 2003.

5/ عبد الناصر جندلي، التنظير في العلاقات الدولية بين الاتجاهات التفسيرية والنظريات التكوينية، الجزائر، دارالخلدونية، الطبعة الاولى، 2007.

6/ عبد الوهاب المسيري وفتحي التريكي، الحداثة وما بعد الحداثة، سوريا، دمشق، دار الفكر، الطبعة الاولى، 2003.

7/ عمار حجار، السياسة المتوسطية الجديدة للاتحاد الاوروبي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلاقات الدولية، الجزائر، جامعة باتنة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، قسم العلوم السياسية، جوان 2002.

8/ Amelie Blom et Frederic Charillon, Theories et Concepts des Relations Inernatinales, France, Paris, Hachette, 2001.

9/ Campbell Jones," Theory After the Post Modernism Condition",

http:// org.sagebub.com/cgi/content/abstract/ 10/3/503.

10/ Charles P.David et Jean Jaques Roche, Theories de la Securité, France, Paris, Edition Montchrestien, 2002

11/ Chris Brown, Undestanding Innternational Relations, USA, New York, PAIGRAVE, Second Edition, 2001

12/ Dan L.Maclsaac, " The critical Theory of Jurgen Habermas",

http://physicsed.buffalostate.edu/danowner/habcrithy.html

13/ JuanitaElias and Peter Sutch, International relations- The Basics-, USA, New York ,Routldge, 2007

14/ Paul R. Viotti and Mark V.Kauppi, Internationl Relations Theory, UK, London, Pearson, 5th Edition, 2012

15/ Richard Price and Christian Reus-Smit, " Dangerous Liaisons ? Critical International Theory and Constructivist", http :// ejt.sagebub.com/egi/content/short/4/3/259.

16/ R. Price and C. Reus – Smith, "Critical International Theory and Constractivism", European Journal of International Relations, UK, London, SAGE Publications, Volume 4, Number 3, September.

www.manaraa.com